كيف خلق الله المرأة

لتوفيق فرج [1]

جاء في الاساطير القديمة ، حديث بديع ، جميل ، عن كيف خلق الله المرأة وهذا الحديث يفوق ببلاغته ، ومعانيه ، قصة الخليقة بحسب نصوص التوراة

* * *

في البدء خلق الله العالم والسموات والارض، وما فيها، وما عليها ، ثم خلق الرجل

ولما جاء ليصنع المرأة وجد انهُ قد استنفد في صنع العالم والرجل جميع المواد والعناصر التي كانت لديه

فخزن الخالق واخذهُ سبات عميق

ولما استفاق عمد الى هذا العالم واستخلص منهُ المرأة كما يأتي

* * *

اخذ من القمر استدارتهُ ، ومن البحر عمقهُ ،ومن الامواج مدّها وجزرها، ومن النجوم لمعانها ، ومن شعاع الشمس حرارتهُ ، ومن الندى قطراته ، ومن الريح تقلبها وعدم ثباتها،ومن النبات ارتجافهُ وارتعاشهُ ،ومن الورد لونهُ وعطرهُ ، ومن الازهار مخلها ، ومن الاوراق خفتها ، ومن الاغصان تمايلها ، ومن خفيف الاشجار حنينها وأنينها ، ومن النسيم لطفهُ ورقتهُ ، ومن الراح نشوتهُ ، ومن العسل طعمهُ ، ومن الذهب توهجهُ ، ومن الماس قساوتهُ ، ومن الحية حكمتها ، ومن الحرباء تلوّنها ، ومن الغزال شرودهُ ، ومن المها عيونها ، ومن الارنب نفاره وجبانهُ ، ومن الطاووس خيلاءهُ وزهوه ، ومن الاسد شراستهُ وقوتهُ ، ومن الزمن خيانتهُ وغدرهُ ، ومن الثعلب مكره وروغانهُ ،ومن العقرب لدغتهُ ، ومن اليمامة نغمتها ، ومن البغاء هذيانها وكثرة كلامها

ثم جمع جميع هذه المواد وسكبها في بوتقة وصنع منها المرأة

واخذ الله المرأة واعطاها للرجل

* * *

وبعد اسبوع جاء الرجل الى الخالق قائلا

يا رب — ان المرأة التي اعطيتني قد سممت حياتي ووجودي

انها تتكلم بلا انقطاع

انها تبكي بلا سبب

---

(١) راجع باب مكتبة المقتطف

انها مستضعفة نحيفة ومطالبها لا حدّ لها
انها تشكو من اقل شيء
وتتألم من كل شيء
خلصها وأرحني منها يا ربّ

* * *

وأخذ الله المرأة

* * *

وبعد اسبوع عاد الرجل الى الخالق قائلاً
يا رب — ان حياتي من دون المرأة اشبه بالوحدة والانفراد
كل العالم الذي اعطيتني اشبه بمنفى لي
انا تاعس من دون المرأة
اني اتذكر كيف كانت تغني لي وترقص امامي
كيف كانت تنظر اليّ بالتطاف من طرف مقلتها
كيف كانت تبتسم فتجدد نشاطي . وتضحك فتبدد همومي
كيف كانت تلاعبني
كيف كانت ترتمي بين ذراعي
كيف كانت تحبب اليّ الحياة
كيف كانت تخفف آلامي ، وتمنح لذةً لاحلامي
ارجعها اليّ يا رب

* * *

وأعاد الله المرأة الى الرجل

* * *

وبعد ثلاثة ايام رجع الرجل الى الخالق باكياً شاكياً
يا رب — انني لا افهم نفسي — لكنني متأكد ان المرأة تزعجني اكثر مما تريحني وتسرني
فغضب الخالق وقال — خذ المرأة ايها الرجل واذهب ولا تعد اليّ
وصاح الرجل — انني لا استطيع ان اعيش معها
فأجاب الرب — ولا تستطيع ان تعيش من دونها

* * *

وأخذ الرجل المرأة وهو يندب سوء حظه ويقول : — يا لشقائي انا لا استطيع ان اعيش مع المرأة . ولا استطيع ان اعيش من دونها !